المضمرات النفسية والاجتماعية في شعر الصعاليك

- تجربة الشنفرى نموذجًا -

د. شريف سعاد

المركز الجامعي الونشريسي

تيسمسيلت، الجزائر

البريد الإلكتروني: soadsoad14@gmail.com

الاستلام	٢٠١٩/١/٢٣	المراجعة	٢٠١٩/٣/٧	النشر	٢٠١٩/٤/٣٠

الملخص:

تعد ظاهرة الصعلكة نتيجة حتمية للمجتمع الجاهلي ونظامه القبلي، فهي وليدة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي انتشرت في تلك البيئة وتضخمت لتشكل حركة تمرد واسعة النطاق، فغياب العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد القبيلة واستغلال سلطة النسب والمال وفرض قوانين القبيلة الجائرة على بقية الطبقات المهمشة كان من شأنه أن يحدث شرخا عميقا في نفسية الأفراد، فما هي هذه الخصائص النوعية التي تفرد بها النص الصعلوكي من الناحية الاجتماعية والنفسية؟

الكلمات المفتاحية:

التمرد – الاغتراب – العنصرية – الفقر – الأنا - الآخر.

Dimensions psychologiques et sociales dans la poésie vagabonde

The experience of the Shanfara model

Dr. Sharif Suad

Centre Universitaire al-wancharissi

Tissemsilt, Algeria

Email: soadsoad14@gmail.com

Received	23/1/2019	Revised	7/3/2019	Published	30/4/2019

Résumé

Le phénomène du vagabondage en poésie est un résultat fatal dune société pré- islamique et son système tribale , il est né a cause des circonstances sociale économique qui ont marqué cette environnement et qui ont évolué résultant a une rébellion , l'injustice et l'inégalité entre les membres de la tribu et la mal utilisation du pouvoir ancestrale et le pouvoir d'argent et l'imposition des lois injustes sur le reste des classes marginalisées , cela a crée un vide dans les esprits des personnes , quels sont les caractéristiques qui marquent le texte vagabonds d'un coté sociale et psychologique ?

Mots clés:

Rébellion, étrangeté, racisme, pauvreté, l'ego, l'autrui,

Psychological and Social Dimensions in Vagrant Poetry

Expérience de Shanfara

Abstract:

phenomenon of vagabond poets is a fatal result of a pre islamic society and its tribal system, it was born due to the economic and social circomstances which marked the environment that time , that evolved resulting to a rebellion, injustice and inequality between the members of the tribe and mis use of ancestral power , money power , and the imposition of unfair laws on the rest of the marginalized classes, that created a vacuum inside the spirits of the people , what are the characteristics that mark the vagabond text from a social and psychological side?

Keywords:

Rebellion, strangeness, racism, poverty, ego, otherness.

١- تمهيد:

أحدث نظام الطبقات الذي كان سائدا في العصر الجاهلي تفاوتا كبيرا في المجتمع مما أدى إلى ظهور نوع من التمرد اختلفت درجاته إلى أن وصل إلى الانفصال التام عن القبيلة وتأسيس نظام خاص بالمتمردين أنفسهم، أطلق عليه تسمية الصعلكة فما مفهوم الصعلكة؟، وكيف تحولت إلى حركة تمردية طالت عدة قبائل عربية؟، وما هي المضمرات النفسية في قصائدهم؟، وكيف ساعدت العوامل الاجتماعية والمادية على إنشاء هذه الثورة الإنسانية؟

الصعلوك لغة : يقول ابن منظور في قاموسه الجامع "لسان العرب": « الصُّعلوك: الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد»[١]وتدور معظم المعاجم العربية في نفس المعنى, فالصعلوك هو الفقير الذي لا مال يعينه على قضاء حوائجه اليومية، ولا معين له في هذه الحياة يساعده على تجاوز عقباتها وضمان عيش كريم.

الصعلوك اصطلاحا: هو المتمرد على قوانين مجتمعه وعاداته، وهو من اتخذ الأساليب الغير مشروعة وسيلة لكسب المال والانتقام مثل: السرقة والإغارة والنهب والعنف المقصود.

ولقد نتج هذا الانتقال من المفهوم اللغوي إلى الاصطلاحي عن أفعال الصعلوك وسلوكياته التي أصبغت على المعنى المعجمي دلالات أخرى من الواقع التاريخي لهذه الجماعة، فمادة صعلك «تدور في دائرتين: إحداهما (الدائرة اللغوية)، التي تدل فيها على معنى الفقر، وما يتصل به من حرمان في الحياة وضيق في أسباب العيش، والأخرى نستطيع أن نطلق عليها (الدائرة الاجتماعية)، وفيها نرى المادة تتطور لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه، وبالأسلوب الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع»[٢]، فتغير بذلك مدلول الدال (الصعلكة) لاعتبارات اجتماعية ونفسية لمدلول جديد ارتبط بواقع هذه الجماعة الغير مستقر.

وللمتمرد سلطته الخاصة وقوانينه التي تخرجه من اطار الجماعة إلى الفردانية في بحثه عن الحرية وفق رؤيته الخاصة النابعة من تجربة حياتية سابقة, حتى لو جمعت بينه وبين البقية بعض السمات المشتركة والحالات الشعورية المترسبة في اللاوعي من ظلم قبائلهم لهم إلا أنه يتفرد سلوكيا ليعبر عن تمرده، فالشنفري مثلا سعى وراء الانتقام بتعهده قتل ١٠٠ رجل ليثأر لأبيه فقتل منهم ٩٩ رجلا وأنهت عظام جمجمته بعد عامين من موته العهد بإتمام المائة، أما تأبط شرا فقد عانى من العنصرية لسواد بشرته وكان يحب أن تسمع أخباره بين القبائل لسرعته وفطنته ومكره كتعويض نفسي عن التهميش الذي تعرض له، ونجد عروة بن الورد أبو الصعاليك يحاول محاربة الفقر وتنظيم صفوف الصعاليك وتوزيع الغنائم على الفقراء المضطهدين، فكان لكل واحد منهم أسبابه وأهدافه ولكن شعور الأسى مشترك بينهم وأساليب العيش متشابهة.

والانطلاقة لفهم هذه الظاهرة ومضمراتها تبدأ من القبيلة ونظامها، فكانت بمثابة الوطن للإنسان الجاهلي يفتخر بها ويتعصب لأجلها ويقيم الحروب دفاعا عنها وعن سيادتها، لها قوانينها الخاصة التي تميزها عن بقية القبائل ونظامها الطبقي، الذي ينقسم إلى طبقة عليا تسمى بالأحرار وفيها قيادة القبيلة من قبل الشيخ الكبير وأبناؤه والطبقة الوسطى من الموالي وأغلبهم تجار، ثم الطبقة الدنيا وهم العبيد وتعد مهمتهم الأساسية خدمة أصحاب الطبقة العليا مقابل قوت يومهم دون أحقيتهم في امتلاك رأس المال، فالقبيلة هي «مجموعة قيم وعادات، مجموعة علاقات وهي قانون وسلطة، وتحت هذا كله ننسى الفرد الذي يؤسس ويبني ويقيم العلاقات»[٣] ومن هنا تشكلت المفارقات المعيشية بين أفراد القبيلة.

فإحساس الإنسان بأن هذا الوطن المصغر لا يمثله ولا يحتويه ولا يلبي أبسط حاجياته سواء كانت مادية أو معنوية، يشعره بالاغتراب ويولد داخله مشاعر متناقضة بين الكره والحب، فكان من «أسباب اغتراب الصعاليك واللصوص البحث عن التوازي الاقتصادي والاجتماعي والبحث عن العدالة، ونيل الحرية بعد مصادرتها»[٤] فبين

الولاء والعداء يتضخم هذا الشعور تدريجيا نتيجة الظلم الاجتماعي والتمييز العنصري ليصل حد الانفجار والتمرد على هذه السلطة الغاشمة.

إن انفصاله عن وطنه (القبيلة) هو آخر الحلول بالنسبة له بعد أن ضاق ذرعا من الطبقية وانعدام العدالة والقيود التي تكبل حريته وتهضم حقوقه, وما الإغارة والسلب والنهب إلا وسيلة لتحقيق ذاته المتصدعة في هذا العالم المتناقض، مما جعلهم يبحثون عن معادل موضوعي وكان عالمهم الجديد هو الطبيعة التي رغم قساوتها إلا أنها لا تفريق فيها ولا ظلم ولا تمييز، كما أن العوامل النفسية المشتركة بين الصعاليك جعلت علاقة التواصل بينهم قوية ومترابطة رغم تفككها الظاهر إلا أنها تقوم على الفداء والتضحية والإيثار، ذلك أن البناء الاجتماعي للصعلكة يعتمد على طبقة اجتماعية واحدة يتساوى فيها الجميع، وقد ضمت هذه الطبقة الجديدة طوائف ثلاثة انحدرت من المجتمع القبلي، يمكن تلخيصها على النحو التالي:

أ- طائفة الخلعاء والشذاذ: وهي الطائفة التي اضطرت قبائلهم إلى خلعهم، مثل: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطمحان القيني.

ب- طائفة الأغربة: وهم العبيد السود الذين سرى لهم السواد من أمهاتهم مثل: تأبط شراً، والشنفرى، والسليك بن السلكة.

ج- طائفة الفقراء الذين يتصعلكون بسبب الفقر والفاقة التي فرضتها الظروف الاقتصادية السيئة في المجتمع الجاهلي، مثل: عروة بن الورد[٥]

٢- التمرد الاجتماعي:

لكل إنسان جمهوريته المثالية التي يصنعها في ذهنه ويحلم بها، ويحملها كل المبادئ الجليلة والقيم الحسنة ويبعد عنها الظلم والجور والعدوان وتنتشر فيها أنوار السعادة والأمان، ومثالية الصعلوك لا تختلف كثيرا عن هذا الحلم الأزلي إذ حاولوا تحقيقه على أرض الواقع من خلال توزيع غنائمهم على إخوانهم الفقراء العاجزين، فحتى تتحقق الثورة «لابد للمتمرد من أن يكون مقترنا بشعور المرء بأنه على حق بصورة ما, وفي مجال ما »[٦] فإيمانه بقضيته هو الذي يعطيه الدافع للمواصلة والصبر لنيل الهدف المنشود.

فالصعلوك لابد أن يكون على قناعة تامة بشرعية حقوقه وأن يطالب بها مهما كانت الاعتراضات الاجتماعية والاقتصادية التي تكبل هذه المشروعية فالاستكانة والرضوخ للأمر لن يغير شيئا، ولهذا كان للصعاليك مطالب كثيرة أولها الحرية من القيد الوهمي الذي صنعته لهم القبيلة، وثانيا المساواة في العيش الكريم والنسب الأصيل والتعبير الحر، فهو يستحق أن يكون مثل غيره ومن الظلم أن يصنف في طبقة العبيد فقط لأنه أسود البشرة أو أقل منهم ماديا، يقول عروة بن الورد في ذلك:

إذا المرء لم يبعث سواماً ولم يــرح ... عليه ولم تعطف عليــه أقاربــه
فلَلمَوتُ خيــرٌ للفَتى مــنْ حَياتِــهِ ... فقيراً، ومن موْلًى تـدِبُّ عقارِبُــهُ
وسائلةٍ: أينَ الرّحيــلُ؟ وسائِـــلٍ ... ومتى يسأل الصعلوك أين مذاهبه
مَذاهِبُـــهُ أنّ الفِجـــاجَ عريضَــةٌ ... إذا ضَنّ عنه، بالفَعـالِ، أقاربُــه
فلا أترك الإخوان ما عشت للــردى ... كما أنــه لا يترِكُ المــاءَ شاربُــه
ولا يُستضامُ، الدهرَ، جاري، ولا أُرى ... كمن باتَ تسري للصّديق عقاربُــه
وإنْ جارتـــي ألوَتْ ريــاحٌ ببيتهـــا ... تغافلت حتى يستر البيت جانبــه[٧]

فالصمت لا يعني الرضا دائما ولكنه يعني في كثير من الحالات عدم القدرة على الرفض أو إبداء الرأي، وذلك نابع من شعور الفرد بعدم أحقيته في المشاركة والتعبير الحر وفي قول "لا" أمام الآخر، وهذا ما يولد كبتا نفسيا لرغبات لم ولن تتحقق مادام الآخر يفرض حدوده الصارمة على هذه الأنا، ذلك إننا نجد «نفس فكرة الحد في إحساس المتمرد بأن الإنسان الآخر يبالغ وأنه يبسط حقه ويجاوز الحد الذي اعتبارا منه يجابهه ويحده حق آخر »[٨] ولكن المتمرد في سعيه لكسب الحرية والعدالة قد يرتكب الأخطاء الجسيمة من قتل وعنف واعتداء على الممتلكات، مما يوقعه في تناقض داخلي (نفسي) وخارجي (اجتماعي) بين المساعي الحميدة والنوايا الطيبة وبين الوسائل المنبوذة، فإن كانت ثورتهم تنشد التغيير في أساسها ولكن وقوعها في مطب الممنوع إنسانيا واجتماعيا افقدها مع الوقت طاقتها الاندفاعية ولكن شعارهم الدائم "فلَلمَوتُ خيرٌ للفَتى منْ حَياتِهِ".

فالصعلوك بالمفهوم الحداثي هو ذلك البطل الذي انتقل من التمرد الفردي إلى ثورة جماعية ضد نظام اجتماعي متوارث في شبه الجزيرة العربية قوامه العنصرية والطبقية، سعت هذه الثورة إلى إحداث تغيير في الأطر الأساسية التي قسمت المجتمع إلى أسياد وعبيد، وبمقدراته الجسدية وفروسيته وشجاعته خاض هذه الثورة وتحدى الصعاب وصبر على الجوع والعطش وقسوة الصحراء من أجل تحقيق العدالة، ذلك هو «التعارض بين عالمين، عالم البطل المندفع في غربة الوجود، في جسد الطبيعة الخشنة الواعدة، النائل ببطولته أو هربه أو حيلته وعالم الإنسان سجين الطبيعة والألفة والقطيع»[٩] طبعا في زمانهم النتائج النهائية لهذه الثورة لم تكن إيجابية ولم تحقق التغيير ولكنها تاريخيا حققت بصمة إنسانية عالية قوامها التخلص من العبودية، كما أنها من الناحية الفنية قد اعتبرها بعض النقاد البدايات الأولى في تحويل المنظومة الشعرية القارة التي تمثلت في عمود الشعر وشروطه الصارمة فتخلى الشاعر الصعلوك عن المقدمة الطللية وعن التغزل والبكاء على الماضي وتحول إلى تحدي للحاضر وتفكير في المستقبل.

ومن الدوافع الاجتماعية والاقتصادية التي جعلت الصعاليك يفضلون الخروج لحضن الطبيعة:

أ- الفقر: وهو العامل المشترك والأساسي بين كل الصعاليك، فجلهم ينتمي إلى الطبقة الدنيا الخادمة لصالح الطبقة السلطوية يعانون الفقر والحاجة ومرّ الحياة بسبب هذا التميز الطبقي الاقتصادي وبعد خروجهم إلى حضن الطبيعة زاد الأمر سواء، يقول في ذلك عروة بن الورد:

دَعيني لِلغِنى أَسعَى فَإِنّي ... رَأَيتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ
وَأَبعَدَهُمْ وأَهوَنَهم عَلَيْهِم ... وَإِنْ أَمسَى لَهُ حَسَبٌ وَخِيرُ
وَيُقْصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنهرُهُ الصَّغيرُ
وَيُلفى ذُو الغِنَى وَلَهُ جَلالٌ ... يَكَادُ فُؤَادِ لاقيه يَطَيرُ
قَليلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنبُ جَمٌّ ... وَلَكَنْ لِلغِنى رَبٌّ غَفُورُ[١٠]

فالفقير منبوذ في المجالس ويتشاءم منه بقية أفراد القبيلة وحتى زوجته تنظر إليه بنظرة النقص، بعكس الغني الذي يرحب به في كل مكان وزمان، واستعمل الشاعر لتبيان هذه المفارقة صورة شعرية جميلة بقوله (يكاد فؤاد لاقيه يطير) من فرحه الشديد بهذا الغني الذي يتوقع منه بعض العطايا والهدايا فاستعار الطيران للفؤاد كناية عن الغبطة والسرعة في الترحيب والتهليل بالضيف الغني، ويقول الشنفري في وصف حالة الجوع التي أصابته وكيف يصبر عليها مخافة أن يشمت فيه الأعداء فالجوع والعطش أهون عنده من الذل والمهانة:

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ ... وأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ ... عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ
ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ ... يُعَاشُ بِهِ إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

وَلكِـنّ نَفْسَــاً مُـرَّةً لا تُقِيــمُ بــي على الذامِ إلاَّ رَيْثَما أَتَحَـوَّلُ
وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ ماريّ تُغَارُ وتُفْتَـلُ
وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيـدِ كمـا غَـدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ

وفي الحقيقة أن هذه الآفة كانت موجودة قبل تصعلكهم حيث كانوا «فئة من فقراء القبائل المختلفة عبرت بانسلاخها عن واقعين اثنين لهما دلالة واحدة، عبرت أولا عن خروجها عن الانتماء الذي يلزمها الالتصاق بحياة القبيلة والانقياد لأوضاعها وأعرافها القبلية، وعبرت ثانيا عن حاجة مادية لم تستطع احتمالها في ظل القبيلة»[11] إلا أن الفقر بعد تصعلكم كان اختيارهم عكس ما أصابهم في قبائلهم وهنا تنشأ المفارقة بين المفروض عليك وما اخترته بنفسك، فغدى الفقر والصبر على الجوع من مفاخرهم بعدما كان علة تنخر في نفسيتهم قبل أجسامهم، وتوّلد في أشعارهم الحكم والمواعظ عن الحياة وقساوتها ويقول في ذلك عروة:

إني امرؤ عافي إنائي شركــة وأنت امرؤ عافـى إنائـك واحــد
أتهزأ مني أن سمنت وأن تـرى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والمــاء بــارد[12]

ب- **العنصرية** : لم تكن الطبقية القبلية قائمة على المادة فحسب بل شكل النسب وشرفه أهم مفاخرهم عبر الزمن, والعنصرية كانت في التعالي بالنسب الرفيع وإهانة الوضيع أو مجهول النسب، وقد عان من هذا الكثير من الصعاليك على رأسهم الشنفري وما تسميته بهذا الاسم إلا دليل قاطع على هذه العنصرية المتفشية في الجاهلية، ولأنه أسود البشرة وشفته غليظة نسب له كل ذلك في تسمية التصقت به للأبد، ويكشف لنا نص لامية العرب عن «الرؤية المحورية المتمثلة في تعرض الذات لأزمة حادة في علاقتها بالقبيلة أو المجتمع حيث وضح لها أن علاقة القبيلة بها علاقة فوقية وأن تعاملها معها لا يقوم على التكافؤ والمساواة»[13] وحادثة الشنفري مع بنت قبيلته التي طلب منها أن تصب الماء على رأسه ليغسله أحد الأدلة على هذه العنصرية حيث رفضت أن يعتبرها أختا له ولطمته، فقال:

أَلاَ لَيتَ شِعرِي والتَّلَهُّــفِ ضَلَّــةٌ بما ضَرَبتْ كَفُّ الفَتَاةِ هَجينَهَا
ولو عَلِمَتْ قُعسُوسُ أَنسابَ وَالِدِي وَوَالِدِها ظَلَّتْ تَقَاصَــرُ دُونَهَـا
أَنا ابنُ خِيارِ الحُجْرِ بَيْتَاً وَمنصِبــاً وَأَمِّي ابنةُ الأَحرارِ لو تَعرِفِينَهَا

وبعد هذه الحادثة المهينة تغير مسار الشنفري واستيقظ داخله وحش ثائر همه الوحيد أن يثأر لمقتل أبيه ويرجع عزة نفسه وكرامته، ويثبت نسبه وأن أمه ليست آمة بل سيدة من الأحرار، ولهذا بدأ قصيدته بمناداة بني أمه بالخصوص دون غيرهم، يقول في توعده بالانتقام:

جزينا سلامان بن مفرج قرضها بمـا قدمــت أيديهــم وأزلــت
وهنئ بي قوم وما إن هنأتهــم وأصبحت في قوم وليسوا بمنبتي[15]

لهذا عيش الذل والمهانة لم يكن ضمن قائمة الصعاليك الذين فضلوا الصحراء القاحلة والموحشة عن بني قبيلتهم العنصريين، والموت بكرامة أعز عندهم من العيش الوضيع والاستكانة للظلم، والحياة مغامرة تستحق أن تعاش بعزة الأنفس والموت وهو صابر، ويقول تأبط شرا في رثاء الشنفري:

وَأَجمَلُ مَوتِ المَرءِ إذ كانَ مَيّتـاً وَلابُدَّ يَوماً مَوتُهُ وَهــوَ صابِــرُ
وَخَفَّضَ جَأشي أَنَّ كُلَّ ابنِ حُرَّةٍ إِلى حَيثُ صِرتَ لا مَحالَةَ صائِرُ
وَأَنَّ سَوامَ المَوتِ تَجري خِلالَنـا رَوائِحُ مِن أَحداثِــهِ وَبَواكِــرُ

فَلا يَبعَدَنَّ الشنفري وَسِلاحُـهُ الحَديدُ وَشَدٌّ خَطوُهُ مُتَواتِـرُ
إِذا راعَ رَوعُ المَوتِ راعَ وَإِن حَمى حَمى مَعَهُ حُرٌّ كَريمٌ مُصابِرُ[١٦]

٣- تماهي الزمان والمكان:

إن انفصال الشاعر الصعلوك عن قبيلته هو انفصال عن المكان المألوف الذي تربى وتكونت فيه كل مفاهيمه عن الحياة في إطار الجماعة وقوانينها، لينتقل إلى حدود جغرافية شاسعة تتحدد وفق منظور الكرّ والفرّ بين الكسب والفقد رغم قلة الأسلحة والعتاد كما أشار إلى ذلك الشاعر بقوله (وَلَيسَ جِهَازِي غَيرُ نَعلينِ)، فكل شيء ممكن لهذا قسموا الصحراء إلى مناطق نفوذ كل مجموعة تغير على منطقتها ولا تتعدها إلى مناطق الآخرين، مثلا الشنفرى كان مسيطرا على صحراء اليمن من قبائل وقوافل وكانت منطقة عبور استراتيجية للتجار.

أما في القصيدة الجاهلية فنجده واضح المعالم يتوزع على حدود القبيلة والمناطق المسيطر عليها، أو في الوقوف على الأطلال ذلك أن العرب كانوا من البدو الرحل ينتقلون من مكان إلى آخر بحثا عن مرابع الكلأ والماء ولهذا نجد المقدمة الطللية من أساسيات القصيدة القديمة، وهي نوع من الحنين إلى أمكنة سكنتها القبائل من قبل ومساكن احتوت الحبيبة فيما مضى.

فالشاعر الصعلوك تختلف رؤيته للمكان عما كان منتشرا في زمانه، فالصحراء بحدودها المترامية وأفقها الذي لا يكاد ينتهي تمثل المكان المجهول الغير الثابت الذي يتحول بحسب الحاجة، فهو لا يضمن مستقبله ولا يحتفي بماضيه همه الوحيد أن يعيش يومه منتظرا الغد ولا يتوقع الأحسن، مما جعله دائم اليقظة مستعد للمغامرة في كل لحظة، لذلك يفقد المكان «صفة الثبات النسبي والتكرار النسبي، أي أنه يفقد بعده الزمني، ومن هنا فإن المكان يصبح عرضيا في النص الصعلوكي وبسبب عريضته تنتفي ظاهرة التعبير الرمزي بالأطلال وينفصم المكان عن الزمان كلية»[١٧]وهذا كله حصيلة التشتت النفسي والضياع الاجتماعي للصعلوك وفقدان معاني الحياة المستقرة والبحث الدائم عن الأمان فهو ينتقل من المألوف إلى الغريب ومن المعلوم إلى المجهول، فهنا الشاعر يصف "مرقبة" مكان الصيد المرتفع ومطاردته للفريسة، وهذا ما ظهر جليا في شعرهم من خلال التخلي عن المقدمة الطللية وعن تقديس الأمكنة التي التقى فيها بحبيبته، بل أنه تجاوز الغزل وعوضه بالزوجة الصابرة والمرابطة معه في محنته وتصعلكه، والمكان المحبب عند الصعاليك هو الذي تكثر فيه الغنائم والطرائد لأنها أساس البقاء بالنسبة له:

وَمَرقَبةٍ عَنقَـاءَ يَقصُـرُ دونَهَـا أَخُو الضِّرْوَةِ الرِجْلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ
نَعَبتُ إلى أدنَى ذُرَاها وقد دَنَـا من الليلِ مُلتَفٌ الحَديقةِ أَسْـدَفُ
فَبِتُّ على حَدِّ الذِّراعَينِ مُجْذِيـاً كَمَـا يَتَطَوَّى الأَرْقَـمُ المُتَعَطِّـفُ
وَلَيسَ جِهَازِي غَيرُ نَعلينِ أُسْحِقَتْ صُدُورُها مَخصَورَةً لا تُخَصَّـفُ [١٨]

إنَّ المكان في قصيدة الصعلوك ينطلق من ثنائية (الحياة / الموت) فهي التي تحدد معالمه، ذلك «إنَّ الحاضر يمكن أن يحقق للشاعر إمكان التواصل مع الحياة، أي أنَّ الشاعر الصعلوك يعيش لحظته الآنية غير أنه لا يمتلك وقتاً أو زمناً للحب، وهو يختلف عن شاعر القبيلة الذي يعيش اللحظة الآنية سريعة خاطفة لتحيله إلى الزمن الماضي، ولذلك فإن الزمن الأساس عند شاعر القبيلة هو الزمن الماضي زمن المحبوبة زمن التواصل معها، وفيه يمتلك الشاعر وقتاً للحب والتواصل، إذن فالأطلال تجسد للزمن الماضي ومرور الزمن وتدميره للعالم، أما مكان الصعلوك فإنه إمكانية تجسد المستقبل وبناء عالم جديد»[١٩]فالمكان مرتبط بدائرية الزمن فالقبيلة تكسبه الرتابة والملل لأنه محدد الواجبات والسلوكيات بين الرعي وجلب الماء وخدمة الأسياد، أما زمن الصعلوك فهو متشظي يتحكم فيه الإنسان ويطوعه حسب حاجته فيغدو الليل نهارا والنهار ليلا وتتبادل في يومه الأدوار.

٤- الأنا والآخر:

تعد جدلية الأنا والآخر الخيط الناسج للنص الإبداعي، فهي لا تحتمل دالا واحدا في كل مرة بل يتبدل هذا المدلول عند كل واقعة تاريخية أو سياسية أو اجتماعية، تبعا لطريقة المبدع والزاوية التي ينظر بها إلى هذه الثنائية، فالغاية ليس وصف الآخر بل قراءة الأنا في مرآة الآخر وتكوين هويته من خلال العلاقة التي تربط بينهما.

ولقد ركزت الدراسات الثقافية على ثنائية الأنا والآخر لما لها من دور في تكوين شخصية الإنسان وتميزه داخل مجتمعه أو انطواءه، وليس البحث عن الذات أو تأكيدها عبر بناء صور الآخر أمرا خاصا بثقافة دون أخرى بل نجدها عند كل الشعوب مع اختلافات في الهوية والنظرة الفردية والوجودية، ويقدم لنا "أدونيس" مفهوم الأنا على أنها «حركة دائمة في اتجاه الآخر، ولكي تبلغ الذات الآخر لابد من أن تتجاوز نفسها أو لنقل: لا تسافر الذات في اتجاه كينونتها العميقة، إلا بقدر ما تسافر في اتجاه الآخر، وفي الآخر تجد الذات ذاتها»؛[٢٠] فلقد أصبح الآخر في عالمنا هذا عنصرا مكونا للهوية identite وشرطا لغناها وتقدمها إلى درجة يصح معها القول أن رفض الآخر يعني موت الذات أو جهلها.

وانطلاقا من هذه العلاقة بين الصورة وأصلها تأتي أهمية الحديث عن الأنا والآخر وارتباطهما بمصطلح المرآة «حيث تعمل ذات الآخر مرآة نرى فيها ذواتنا التي تعمل بدورها كمرآة تساعد الآخر على رؤية ذاته»،[٢١] فالعلاقة هنا تبادلية المنفعة، والمعرفة لا تتحقق إلا بطرفي المعادلة مع اختلافات جوهرية في تكوين كل منهما.

والصعلوك هذه الأنا المتشظية التي اصطدمت مع الآخر (القبيلة) وطبقيتها وعنصريتها، جعلته يتمرد عن عاداتها وقوانينها، ليثبت رفضه لهذا النظام جملة وتفصيلا، وفي البداية كان حالة نفسية داخلية شكلت كبتا لرغباته المشروعة التي لا يمكن تحقيها لعدم السماح له بذلك، وظهر هذا الكبت أولا من خلال سلوكيات فردية مستهجنة داخل مجتمعه محاولة منه التذمر على الوضع الموجود فيه مثل: (الخمرة / المجون / العنف / رفض الأوامر...)، مما أدى إلى خلعهم من قبائلهم أو معاقبتهم فأعلنوا التمرد والجهر بالعصيان، مما يشير إلى وجود «خلل اجتماعي في طبيعة هذه العلاقة، وقد أثر ذلك على الذات تأثيرا سلبيا وعنيفا، وأفضى بها إلى المقاطعة والانسلاخ والتخلي عن الانتماء لا للقبيلة وحدها بل للمجتمع الإنساني»،[٢٢] ويقول عروة بن الورد في وصف الصعلوك:

لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... مَضَى فِي المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ
يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَـةٍ ... أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسِّـرِ
قَلِيلَ الْتِماسِ المالِ إلاَّ لِنفسِهِ ... إِذَا هو أَضْحَى كالعَرِيشِ المُجَـوَّرِ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصبِحُ قاعِـدًا ... يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نِسَاءَ الحَيِّ مَا يَسْتَعِنَّـهُ ... فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالبَعِيرِ المُحَسَّـرِ
وَلِلَّهِ صُعْلُوكٌ صَفِيحَةُ وَجْهِـهِ ... كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ المُتَنَـوِّرِ
مُطِلاً عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَـهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيـحِ المُشَهَّـرِ
وَإِنْ بَعِدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَـهُ ... تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّـرِ[٢٣]

يختصر هذا الوصف معاناة الشاعر الصعلوك والفارس الهمام الذي يشبه وجهه بضوء الشهب ويخيف أعدائه كالأسد ولكن جنبه من كثرة النوم على الحصى يتعفر في ليل الصحراء الموحش، حيث إن شعور الحرية هو أكبر محرك للثورة والبحث عن التفرد هو أساس التمرد، كما وصفه "ألبير كامو" بقوله «تتطلب العدالة فيه إيقاف الحرية، حينئذ يتوج الإرهاب الثورة، بسيطا كان أم كبيرا، كل تمرد حنين إلى البراءة، ونزوع إلى الكينونة، ولكن الحنين يحمل السلاح ذات يوم، ويأخذ على عاتقه الوزر التام»؛[٢٤] إذا فالفاصل ضئيل بين ثورة التدمير وثورة التأسيس، ذلك

أن الصعاليك في الأساس فرسان يتقنون استعمال السلاح بل لهم قدرات فتاكة لا تتوفر عند كل البشر، يقول الشنفري عندما أغار على القبيلة ليلا فتعجب أهلها وأنكروا أن يكون بشرا بل هو من الجان أكيد:

فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْـدَةً وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ ألْيَـــلُ
أصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَـــرُ يَسْـــأَلُ
فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُـلُ
فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَـتْ فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيـــعَ أجْـدَلُ
فَإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طارِقاً وإنْ يَكُ إنْسَاً ما كَها الإنسُ تَفْعَلُ

في بداية المقطع يقرّ الشنفرى أن اغارته قد خلفت يتامى وثكلى وأرامل ليس لهم ذنب في الثأر القائم بينه وبين بني قبيلته، ولكنه مجبر ليشفي غليله ويداوي ذاته التي تصدعت مما لحق بها من ظلم الآخرين له في قبيلته.

٥- الاغتراب في شعر الشنفري:

تعددت المجالات التي تبنت مصطلح الاغتراب من النفسي إلى الاجتماعي وصولا للفلسفة وإشكالاتها ويعود ذلك لعمق الظاهرة وتجذرها في الذات، فهذا الشعور نتج عن انفصام الأنا عن الآخر وعن ترسبات اجتماعية ورؤية مخالفة للواقع وخذلانه، مما شكل أزمة نفسية عميقة الأثر تظهر في سلوكيات الفرد، بعضها إيجابي كالإبداع والاختراع وتحقيق الذات بعيدا عن المحيط الذي اغتربت فيه, وجانب سلبي يتمثل في الانطواء والانعزال التام عن المجتمع، أو في التمرد والانحراف ورفض كل العادات والقوانين التي يفرضها عليه الواقع لتصل في بعض الحالات النفسية العقيمة إلى الانتحار، ويقوم الاغتراب على ثلاث مراحل متصلة ببعضها البعض, فالمرحلة الأولى تتكون نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي، ويتدخل وعي الفرد لوضعه في تشكيل المرحلة الثانية، أما المرحلة الثالثة فتنعكس على تصرفه إنساناً مغترباً على وفق الخيارات المتاحة أمامه[٢٥]

فظاهرة الاغتراب انتشرت بشكل كبير عند المبدعين قديما وحديثا لأن المبدع شديد الحساسية متعلق بالجزئيات الصغيرة عميق الفكر، فالمغترب هو الذي «يشعر بأن الاضطراب والفوضوية هما أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه »[٢٦]كل هذا يدخله في صراع نفسي بين أناه وطموحاتها وبين الواقع ومعوقاته، وتزداد تلك التوترات حدة من خلال الصدام بين الأنا والآخر في فهم الحياة وتوتراتها.

وتنوعت أشكال الاغتراب النفسي والاجتماعي في الشعر القديم ولكن أعمق تجربة كانت من نصيب الصعاليك الذين هجروا أوطانهم (القبيلة) ليعشوا في منفى صحراوي غير مؤهل للعيش البشري، إذ «ينطلق الشاعر من خلال عالمه الشعري ليعبر عن وجدانه, ملتمسا لنفسه عالما خاصا به يحاول عن طريقه إعادة تشكيل الأشياء وفقا لرؤاه الفنية الخاصة» [٢٧]فكانت في البداية غربة فردية لتتحول إلى اغتراب جماعي لفئة منبوذة خلعتها قبائلهم وجمعهم شعور الأسى، وهناك من يعد هذه الحركة الشعرية من إرهاصات الرومانسية لأنهما يتشبهان في المبادئ العامة منها الفردية والتعبير المطلق والحرية والطبيعة.

فشكل شعر الصعاليك صرخة وجع تصف حاله ومخاوفه وهواجسه من المستقبل، صوت يصف لنا المنفى وصراع البقاء لتتولى الهموم عليه دون انقطاع، فلا تعرف نفسه الهدوء ولا السكينة دائم الترقب والحذر، فرغم اصطباره إلا أن أنين الاغتراب والوحشة يظهر في قصائده بشدة، ورغم نصوصه الفخرية الواصفة لمغامراته العجيبة إلا أنها مضمرة بالألم والحزن، يقول الشنفري واصفا الهموم التي لازمته أينما حل وارتحل:

وإلْفُ هُمُومٍ ما تَــزَالُ تَعُــودُهُ عِيَاداً كَحُمَّــى الرِّبْــعِ أو هِــيَ أثْقَــلُ
إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثمّ إنّهــا تَثُوبُ فَتَأتي مِنْ تُحَيْــتُ ومِــنْ عَــلُ
فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِياً علــى رِقَّــةٍ أحْفَــى ولا أَتَنَعَّــلُ
فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَــزَّهُ على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ[٢٨]

فالشاعر الصعلوك يعي جيدا أساسيات الصراع القائم بينه وبين الآخر المتمثل في المجتمع القبلي وأفراده أصحاب السلطة المطلقة، فهو شعور لا ينشأ بين ليلة وضحاها بل ينمو تدريجيا ليصل لحالة السخط والتمرد ويكبر عنده شعور اللانتماء الذي يؤرقه دوما، لهذا يبدأ الشنفري لاميته بإعلانه الانفصال عن قبيلته وبحثه عن قوم آخرين، فلا كرامة له مع قبيلته ولا كيان يحتويه بينهم، يفضل العيش الكريم رغم قساوته على أن يسكن ديار الذل والمهانة:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُــدُورَ مَطِيّكُــمْ فَإنّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَــلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُــلُ
وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَــنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَــزَّلُ
لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امــرئ سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ[٢٩]

تعددت المصطلحات الدالة على الأذى والحزن الذي طال الشاعر من قومه بتعسفيتهم وعنصريتهم، فنجد (الأذى/ القلى/ الضيق/ الخذلان..)، وما هذا التعداد إلا حالة شعورية متأزمة في ذات الشنفري، وهنا تتسع الفجوة بين أنا الشاعر والآخر (القبيلة) لأن كمية الأسى تحول دون التوحد بينهما، وهي إشارات دالة «على تعرض الذات للمعاناة المادية والمعنوية، فالأذى ينصرف إلى البدن والكراهية تقترن بالنفس، ومن ثم فإن قرار الذات بالرحيل والانسلاخ –على صعوبته- كان هو السبيل الوحيد للخلاص»؛[٣٠]وهو الشعور بعدم الانتماء لهذا المجتمع ويفضل عليه الوحوش الضارية بقوله:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّــسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَــاءُ جَيْــأَلُ
هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْــذَلُ
وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِــلٌ غَيْــرَ أَنَّنِــي إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أبْسَلُ[٣١]

لتبدأ مرحلة جديدة في حياته رفاقه فيها الوحوش والحيوانات التي وصفها بأنها أرحم من بعض البشر فهي تحفظ السر ولا تهين المذنب ولا تتخلى عنه، وقد وصف أدونيس هذه الرحلة بأنها مشروع بحث ومشروع انتظار في الآن نفسه، لقد وجد في الوحوش أنس يحفظون السر ويتقاسمون الطعام والمشرب تتصرف على سجيتها ويصفها بالشجاعة والمقدامة ولكنه أسرع وأبسل منها جميعا، فحتى يستطيع الإنسان التعايش مع الطبيعة وتقلباتها وغموضها يجب أن يكون مميزا على الصعيد الجسدي والبدني وعلى الصعيد النفسي كذلك.

إن المتتبع لقصيدة الشنفري يجد أنها محاولة جادة لإثبات هويته كإنسان يشعر ويرغب له الحق في العيش الكريم والمقام الرفيع لشجاعته وإقدامه وقدرته الدفاعية عن قبيلته وعصبيته لها، فبعد أن ذكر أسباب الانفصال عن مجتمعه وعن الأذى الذي لحقه منهم، استدرج القصيدة ليذكر أهم الصفات التي تتمتع بها شخصيته رغم التشتت الذي يعيشه ورغم كل المخاطر المحيطة به إلا أنه لن يتخلى عن إنسانيته وكرمه ونبل أخلاقه:

وَإنْ مُدَّتِ الأيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أكُنْ بَأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّــلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّــلُ

وَإنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ[٣٢]

ونجد أن لاميته تقوم على الإنكار من أجل الإثبات, إنكار القبيلة وقوانينها وظلمها وإثبات سماته وأخلاقه، وتجسد النفي في تكرار لست: (لست بمهياف/ لست بعل/ لست بمحيار)، وتمثل أيضا بالعطف على لا الناهية (ولا جبا / ولا خرق/ ولا خاف..)، فهو ينكر ما انتشر في قبيلته عن أن أصحاب الطبقة الدنيا لهم الصفات السيئة فقط لأنهم أقل منهم، وأثبت أن نفسه أبية رغم الجوع والعطش والفقر وأن إنسانيته تعلو عن كل العوائق، فالإغارة على الأغنياء هي وسيلة للإنصاف بالنسبة له وتحقيق للعدالة بتقسيم المال على الفقراء والمحتاجين وإذا امتدت «الأيدي إلى الزاد لم يكن بأعجلهم، وهكذا تمارس الذات قيم القوة والعفة والسيادة التي حرمت منها طويلا في مجتمعها الأصلي الذي أورثها الإحساس بالضيم والكراهية والأذى، ووضعها في الدرجات الدنيا من بنائه الطبقي»[٣٣]لهذا نجد صيغة التفضيل قد تكررت أكثر من ٢٠ مرة في نص القصيدة وهي محاولة لإثبات تفوقه وكأنه صوت داخلي لجمع شتات الذات المتصدع من التشويه الذي لحق بها:

وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَـــه مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهـــا وَهْيَ بُهَّـــلُ
ولا جُبَّأٍ أكْهَى مُـــرِبٍّ بعِرْسِـــهِ يُطَالِعُها في شَأْنِهِ كَيْـــفَ يَفْعَـــلُ
وَلاَ خَرِقٍ هَيْـــقٍ كَـــأَنَّ فـــؤادَهُ يَظَلُّ به المُكَّـــاءُ يَعْلُـــو وَيَسْفُـــلُ
ولا خَالِـــفٍ داريَّـــةٍ مُتَغَـــزِّلٍ يَرُوحُ وَيغْـــدُو داهنـــاً يَتَكَحَّـــلُ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَـــرُّهُ دُونَ خَيْـــرِهِ أَلَفَّ إذا ما رُعْتَـــهُ اهْتَـــاجَ أعْـــزَلُ
وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هوْجَلُ
إذا الأمْعَزُ الصَّوّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منـــه قَـــادِحٌ وَمُفَلَّـــلُ[٣٤]

هذا البحث عن الهوية لازم الشعراء الصعاليك, وكل واحد منهم كانت له طريقته في إثباته إما برفض السلطة كقوى غاشمة أو محاربتها وسلب خيراتها انتقاما لما فعلته به، فبين «خروج الشنفري من قومه ودخوله في قوم آخرين فترة / مسافة من الشعور بالتناقض وبأنه لا هوية له»[٣٥]وهذا الإحساس جاء من ترسبات ظلم النظام القبلي التهميشي والذي عامل الشاعر على أنه عبد حبشي، وجعل من السيف المسلول والقوس الطويل والقلب الشجاع أصدقاءه ورفاقه في رحلته ومغامراته:

ثَلاَثَـــةُ أصْحَـــابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّـــعٌ وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
هَتُوفٌ مِنَ المُلْسَ المُتُـــونِ تَزِينُهـــا رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَـــلُ
إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّـــتْ كأنَّهـــا مُرَزَّأَةٌ عَجْلَـــى تُـــرِنُّ وَتُعْـــوِلُ
وَأغْدو خَمِيصَ البَطْنِ لا يَسْتَفِزُّنِي إلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤادٌ مُوَكَّـلُ[٣٦]

٦- الخاتمة:

تتيح تجربة الصعاليك للدارسين مجالا مفتوحا لدارسة المضمرات النفسية والاجتماعية المنتشرة في العصر الجاهلي، فأشعارهم وثيقة تاريخية شاهدة على عمق تجربتهم الإنسانية، فتمرد الإنسان الجاهلي كانت له أسبابه وظروفه الاجتماعية والاقتصادية التي من أهمها فقدان الحرية وانعدام العدالة والمساواة بين أفراد القبيلة، فأسلوب التهميش المتبع ضدهم أحدث فجوة اجتماعية كبيرة يصعب التحكم فيها أو تغييرها.

تتجلى إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر في انفصال الصعاليك عن مجتمعاتهم واختيار المنفى بدل منه بسبب الصراع القائم بين ذواتهم وبين الآخر (القبيلة) ونظامها العنصري القمعي، فرغم كل الصفات السيئة التي ألحقت بالصعاليك نتيجة نمط معيشتهم المعتمد على العنف والسلب إلا أنهم يتسمون بصفات أخلاقية حميدة مثل الكرم والإيثار وحب الخير للناس.

إن تشظي الذات الصعلوكية جعلها تعيش إضرابات نفسية شديدة تجسد ذلك في الاغتراب النفسي والاجتماعي واللجوء إلى العنف للتعبير عن ذاتها وعن رفضها لكل أشكال التمييز العنصري، لهذا فضل الشاعر الصعلوك الطبيعة ووحوشها من أن يرضى العيش المهين بين أفراد قبيلته.

الهوامش:

[١] ابن منظور , لسان العرب, مادة صعلكة

[٢] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٢٦ . ١٧

[٣] أدونيس, كلام البدايات,دار الآداب , بيروت, ط١, ١٩٨٩, ص: ٩٢

[٤] فتحي ارشيد شديفات, ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص , حتى نهاية العصر العباسي الأول, دار الخليج, الأردن ط١, ٢٠٠٨, ص: ١٢

[٥] ينظر: ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٥٧ . ٥٨.

[٦] البير كامو, الإنسان المتمرد, تر: نهاد رضا, منشورات عويدات , بيروت, باريس, ط٣, ١٩٨٣, ص: ١٨

[٧] عروة بن الورد , ديوان, ١٥٠

[٨] البير كامو, الإنسان المتمرد, ص: ١٨

[٩] كمال أبو ديب, رؤى مقنعة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ١٩٨٦, ص: ٥٨١

[١٠] ديوان عروة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م, ص:٦٢

[١١] حسن مروى, النزاعات المادية في الفلسفة العربية,ج١, دار الفرابي, بيروت, ١٩٧٩ , ص: ٢٠٩

[١٢] عروة بن الورد, ديوان, ص: ٨٣

[١٣] فوزي عيسى , النص الشعري وآليات القراءة, ص: ١١٩

[١٤] الشنفرى, ديوان, تحقيق: اميل بديع يعقوب, دار الكتاب العربي, بيروت, ط٢, ١٩٩٦, ص: ٧٨

[١٥] الشنفرى, ص: ٣٧

[١٦] تأبط شرا, ديوان, ٨٦

[١٧] كمال أبو ديب, الرؤى المقنعة, ص: ٥٧٦

[١٨] الشنفرى, ديوان, ص: ٥٣

[١٩] كمال أبو ديب, الرؤى المقنعة, ٥٧٨

[٢٠] أدونيس, النظام والكلام , دار الآداب , بيروت ,ط١, ص:٧٠

[٢١] ميخائيل إبراهيم أسعد , شخصيتي كيف أعرفها, دار الآفاق الجديدة, لبنان ,ط٣-١٩٨٧,ص:٧٢

[٢٢] فوزي عيسى , النص الشعري وآليات القراءة, دار المعرفة الجامعية, مصر, ٢٠٠٦, ص: ١١٩

[٢٣] عروة بن الورد , ديوان, ص: ١٥

[٢٤] البير كامو, الانسان المتمرد, ص: ١٣٥

[٢٥] ينظر: حليم بركات, غربة المثقف العربي، منشورات المستقبل العربي، ع٢. تموز، ١٩٧٨، ص ١٠٦.

[٢٦] كولن ولسون, اللامنتمي , دار الآداب, بيروت, ط٥, ٢٠٠٤, ص:٥

[٢٧] خلود ترمانيني , الايقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث, ٢٠٠٤, ص:٣٠

[٢٨] الشنفرى, ديوان, ص: ٦٨

[٢٩] الشنفرى, ديوان, ص:٥٨

[٣٠] فوزي عيسى, النص الشعري وآليات القراءد, ص: ١١٩

[٣١] الشنفرى, ديوان, ص: ٥٩

[٣٢] الشنفرى, ديوان, ص: ٥٩, ٦٠

[٣٣] فوزي عيسى, النص الشعري وآليات القراءة, ص: ١٢٠

[٣٤] الشنفرى , ديوان, ص: ٦١

[٣٥] أدونيس , كلام البدايات , ص: ٨٩

[٣٦] الشنفرى , ديوان, ص: ٦٠

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن منظور , لسان العرب, مادة صعلك.
- أدونيس, ١٩٨٩, كلام البدايات, دار الآداب , بيروت, ط١.
- أدونيس, النظام والكلام , دار الآداب , بيروت ,ط١
- البير كامو, ١٩٨٣, الإنسان المتمرد, تر: نهاد رضا, منشورات عويدات , بيروت, باريس, ط٣.
- حسن مروى, ١٩٧٩, النزاعات المادية في الفلسفة العربية,ج١, دار الفرابي, بيروت.
- حليم بركات, ١٩٧٨, غربة المثقف العربي، منشورات المستقبل العربي، ع٢. تموز.
- خلود ترمانيني, ٢٠٠٤, الايقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث, رسالة دكتوراه,كلية الآداب والعلوم الإنسانية, حلب.
- الشنفرى, ديوان, ١٩٩٦, تحقيق: اميل بديع يعقوب, دار الكتاب العربي, بيروت, ط٢.
- عروة بن الورد، ديوان دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.
- فتحي ارشيد شديفات, ٢٠٠٨, ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول, دار الخليج, الأردن، ط١.
- فوزي عيسى, ٢٠٠٦, النص الشعري وآليات القراءة, دار المعرفة الجامعية, مصر.
- كمال أبو ديب, ١٩٨٦, رؤى مقنعة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة.
- كولن ولسون, ٢٠٠٤, اللامنتمي , دار الآداب, بيروت, ط٥.
- ميخائيل إبراهيم أسعد , شخصيتي كيف أعرفها, دار الآفاق الجديدة, لبنان ,ط٣
- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي, دار المعارف, القاهرة, ط٤.